

الكشاف

" إن علينا للهدى " إن الإرشاد إلى الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع " وإن لنا الآخرة والأولى " أي : ثواب الدارين للمهتدي كقوله : " وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين " العنكبوت : 27 " فأذرتكم نارا تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى وسيجنبها الأتقى الذي يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى " وقرأ أبو الزبير : تتلظى فإن قلت : كيف قال : " لا يصلاها إلا الأشقى... وسيجنبها الأتقى " ؟ وقد علم أن كل شقي يصلاها وكل تقي يجنبها لا يختص بالصلي أشقى الأتقى ولا بالنجاة أتقى الأتقى وإن زعمت أنه نكر النار فأراد منارا بعينها مخصوصة بالأشقى فما تصنع بقوله : " وسيجنبها الأتقى " ؟ فقد علم أن أفسق المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الأتقى منهم خاصة ؟ قلت : الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ في صفتيهما المتناقضين فقيل : الأشقى وجعل مختصا بالصلي كأن النار لم تخلق إلا له . وقيل : الأتقى وجعل مختصا بالنجاة كأن الجنة لم تخلق إلا له . وقيل : هما أبو جهل أو أمية بن خلف وأبو بكر B " " يتزكى " من الزكاء . أي : يطلب أن يكون عند [زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة . أو يتفعل من الزكاة . فإن قلت : ما محل يتزكى ؟ قلت : هو على وجهين : إن جعلته بدلا من " يؤتى " فلا محل له ؛ لأنه داخل في حكم الصلة والصلوات لا محل لها وإن جعلته حالا من الضمير من " يؤتى " فمحلها نصب " ابتغاء وجه ربه " مستثنى من غير جنسه وهو النعمة أي : ما لأحد عنده نعمة إلا ابتغاء وجه ربه كقولك : ما في الدار أحد إلا حمارا . وقرأ يحيى بن وثاب : إلا ابتغاء وجه ربه بالرفع : على لغة من يقول : ما في الدار أحد إلا حمار وأنشد في اللغتين قول بشر بن أبي حازم : .

أضحت خلاء قفارا لا أنيس بها ... إلا الجادر والظلمان تختلف .

وقول القائل .

وبلدة ليس بها أنيس ... إلا اليعافير وإلا العيس .

ويجوز أن يكون " ابتغاء وجه ربه " مفعولا له على المعنى لن معنى الكلام : لا يؤتى ماله إلا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة " ولسوف يرضى " موعدا بالثواب الذي يرضيه ويقر عينه . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ سورة الليل أعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر .

سورة الضحى .

مكية وآياتها إحدى عشرة .

بسم الله الرحمن الرحيم " والضحي والليل إذا سجد ما ودعك ربك وما قلى " لمراد بالضحي : وقت الضحي وهو صدر النهار حتى ترتفع الشمس وتلقي شعاعها . وقيل : إنما خص وقت الضحي بالقسم لأنها الساعة التي كلم فيها موسى عليه السلام وألقي فيها السحرة سجدا لقوزله : " وأن يحشر الناس ضحي " طه : 59 وقيل : أريد بالضحي : النهار بيانه قوله : " أن يأتيهم بأسنا ضحي " الأعراف : 98 في مقابلة بياتا . " سجد " سكن وركد ظلامه . وقيل : ليلة ساجية ساكنة الريح . وقيل معناه سكون الناس والأصوات فيه . وسبحا البحر : سكنت أمواجه . وطرف ساج : ساكن فاتر ما ودعك جواب القسم . ومعناه : ما قطعك قطع المودع . وقرئ بالتخفيف يعني : ما تركك . قال : .

وثم ودعنا آل عمرو وعامر ... فرائس أطراف المثقفة السمر .

والتوديع : مبالغة في الودع ؛ لأن من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك . روي : أن الوحي قد تأخر عن رسول الله A أياما فقال المشركون : إن محمدا ودعه ربه وقلاه . وقيل : أن أم جمل امرأة أبي لهب قالت له : يا محمد ما رأى شيطانك إلا قد تركك فنزلت . حذف الضمير من " قلى " كحذفه من الذاكرات في قوله : " والذاكرين الله كثيرا والذاكرات " الأحزاب : 35 يريد : والذاكراته ونحوه : فأود...فهد...فأغنى وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف . " وللأخرة لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى "